



الكرسي الرسولي

رسالة

قداسة البابا فرنسيس

في مناسبة الاحتفال باليوم العالمي للصلوة من أجل العناية بال الخليقة

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء!

"لِيَجْرِي الْبَرُّ وَالسَّلَامُ". هذا هو موضوع هذه السنة لزمن الخليقة المسكوني، المستوحى من كلمات النبي عاموس: "لِيَجْرِي الْحَقُّ كَالْمَيَاهُ وَالْبَرُّ كَنَهْرٍ لَا يَنْقَطِعُ" (5، 24).

صورة عاموس المعبرة هذه تقول لنا ما يريد الله. الله يريد أن يسود البر أو العدل، وهو أمر ضروري لحياتنا كأبناء على صورة الله، كما أن الماء ضروري لبقائنا الجسدي. يجب أن يظهر هذا البر حيث يلزم، وألا يختفي كثيراً في أعماقنا أو يختفي مثل ماء يتبخّر، قبل أن يتمكّن من أن يسندنا. الله يريد من كل واحد أن يحاول أن يكون باراً عادلاً في كل حالة، وأن يسعى دائماً للعيش وفقاً لشرائعه، وأن يجعل الحياة تزدهر بصورة كاملة. عندما نسعى أولاً وقبل كل شيء إلى ملوكوت الله (راجع متى 6، 33)، ونحافظ على علاقة صحيحة مع الله والإنسانية والطبيعة، إذاك يمكن أن يجري العدل والسلام، مثل تيار لا ينضب من المياه النقية، التي تغذّي البشرية وكل المخلوقات.

في تموز/يوليو 2022، في يوم صيف جميل، تأمّلت في هذه المواضيع أثناء حجّتي إلى شواطئ بحيرة القدسية حنة في مقاطعة ألبيرتا في كندا. كانت تلك البحيرة وما زالت مكاناً للحج لأجيال عديدة من أهل البلد الأصليين. وكما قلت في تلك المناسبة، على نغم صوت الطّبول: "كم من القلوب التي أنت إلى هنا راغبة متلهفة، مثقلة بأعباء الحياة، وبالقرب من هذه المياه وجدت العزاء والقوّة للمضي قدماً! وهنا أيضاً، في غمار الخليقة، قلب آخر يحقق يمكن أن نسمعه، إنه حفكان أمّنا الأرض. وهذا كما أنّ حفقات قلب الأطفال، في الرّحم، تتسمّ مع حفقات قلب الأمهات، كذلك، لكي ننمو كبشر، نحتاج إلى ضبط إيقاعات الحياة لتكون منسجمة مع إيقاعات الخليقة التي تمنحنا الحياة" [1].

في زمن الخليقة هذا، لستُ وحدياً عند حفقات القلب هذه: حفقات قلباً، وقلب أمهاتنا وجداتنا، وحفقات قلب الخليقة وقلب الله. اليوم هم ليسوا في انسجام، فهم لا يخفقون معًا في البر والسلام. منع الكثيرون من أن يشريوا من هذا النهر الكبير. لذلك لنصح إلى هذا النداء للوقوف إلى جانب ضحايا الظلم البيئي والمناخي، ولنضع حدّاً لهذه الحرب الخرقاء على الخليقة.

نرى آثار هذه الحرب في الأنهر العديدة التي تجف. قال البابا بندكتس السادس عشر مرّة: "الصّحاري الخارجية تتکاثر في العالم، لأنّ الصّحاري الدّاخلية صارت شاسعة" [2]. النّزعة الاستهلاكية الجشعة، التي تغذّيها القلوب الأنانية، أفسدت جريان المياه على كوكب الأرض. والاستخدام الزائد للوقود الفحمي وإزالة الغابات أدى إلى ارتفاع درجات الحرارة وسبّ حالات جفاف شديدة. ونقص مخيف في المياه يؤثّر بشكل متزايد على أماكن سكنانا، سواء في التّجمّعات

² الـصـغـيرـةـ أوـ فـيـ المـدـنـ الـكـبـيرـةـ.ـ بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ ذـلـكـ،ـ الصـنـاعـاتـ الـمـدـمـرـةـ تـعـملـ عـلـىـ اـسـتـزـارـ وـتـلـوـبـ يـنـابـيعـ مـيـاهـ الشـرـبـ لـدـيـنـاـ،ـ بـمـارـسـاتـ مـفـرـطـةـ مـثـلـ التـكـسـيرـ الـمـائـيـ لـاستـخـراـجـ النـفـطـ وـالـغـازـ،ـ وـمـشـارـيعـ الـاسـتـخـراـجـ الضـخـمـةـ الـجـامـحةـ،ـ وـالـزـرـاعـةـ الـحـيـوانـيـةـ الـمـكـثـفـةـ،ـ مـنـ دـونـ آـيـةـ مـرـاقـبـةـ.ـ "ـأـخـونـاـ الـمـاءـ"ـ،ـ كـمـ يـسـمـيـهـ الـقـدـيسـ فـرـنـسـيـسـ،ـ دـمـرـ وـحـوـلـ إـلـىـ "ـسـلـعـةـ تـحـكـمـ بـهـاـ قـوـاـيـنـ السـوقـ"ـ (ـرـسـالـةـ عـامـةـ بـابـوـيـةـ،ـ كـُـنـ مـسـبـحـاـ،ـ 30ـ).

الـهـيـةـ الدـولـيـةـ بـيـنـ الـحـكـومـاتـ الـمعـنيـةـ بـتـغـيـرـ الـمـنـاخـ،ـ وـالـتـابـعـةـ لـلـأـمـمـ الـمـتـحـدـةـ (ـIPCCـ)ـ تـؤـكـدـ أـنـ عـمـلـاـ عـاجـلـاـ لـحـمـاـيـةـ الـمـنـاخـ يـمـكـنـ أـنـ يـضـمـنـ عـدـمـ تـفـوـيـتـ الـفـرـصـةـ فـيـ خـلـقـ عـالـمـ أـكـثـرـ اـسـتـدـامـةـ وـعـدـلـاـ.ـ يـمـكـنـاـ،ـ وـيـجـبـ عـلـيـنـاـ تـجـنـبـ حدـوثـ أـسـوـأـ الـعـوـاقـبـ.ـ "ـيـمـكـنـ أـنـ نـعـمـلـ الـكـثـيرـاـ"ـ (ـالـمـرـجـعـ نـفـسـهـ،ـ 180ـ)،ـ إـنـ أـسـرـعـنـاـ وـوـجـدـنـاـ جـهـودـنـاـ مـعـاـ فـيـ النـهـاـيـةـ،ـ مـثـلـ الـعـدـيدـ مـنـ الـجـادـوـلـ وـالـسـيـوـلـ،ـ الـتـيـ تـجـتـمـعـ فـيـ نـهـرـ وـاحـدـ كـبـيرـ،ـ لـنـسـقـيـ حـيـاةـ كـوـكـبـنـاـ الـعـجـيبـ وـعـائـلـتـنـاـ الـبـشـرـيـةـ مـدـةـ الـأـجيـالـ الـقـادـمـةـ.ـ لـتـكـافـفـ وـلـتـخـذـ خـطـوـاتـ جـرـيـةـ حـتـىـ يـجـريـ الـبـرـ وـالـسـلـامـ فـيـ كـلـ الـأـرـضـ.

كـيـفـ يـمـكـنـاـ أـنـ نـسـاـهـمـ فـيـ تـكـوـيـنـ نـهـرـ الـبـرـ وـالـسـلـامـ الـكـبـيرـ فـيـ هـذـاـ الـوقـتـ،ـ فـيـ زـمـنـ الـخـلـيقـةـ؟ـ مـاـذـاـ يـمـكـنـاـ أـنـ نـصـنـعـ خـاصـةـ كـنـائـسـ مـسـيـحـيـةـ،ـ لـتـرـمـيمـ يـيـنـاـ الـمـشـترـكـ حـتـىـ يـعـجـجـ بـالـحـيـاةـ مـرـةـ أـخـرىـ؟ـ يـجـبـ أـنـ نـقـرـرـ تـغـيـرـ قـلـوبـنـاـ وـأـنـماـطـ حـيـاتـنـاـ وـالـسـيـاسـاتـ الـعـامـةـ الـتـيـ تـحـكـمـ مجـتمـعـاتـنـاـ.

أـوـلـاـ،ـ لـنـسـاـهـمـ فـيـ تـكـوـيـنـ هـذـاـ النـهـرـ الـكـبـيرـ بـتـغـيـرـ قـلـوبـنـاـ.ـ هـذـاـ ضـرـورـيـ إنـ أـرـدـنـاـ أـنـ بـدـأـ فـيـ أـيـ تـغـيـرـ آـخـرـ.ـ إـنـهـ "ـالـاـرـتـدـادـ الـإـيكـوـلـوـجـيـ"ـ فـيـ نـفـوسـنـاـ،ـ الـذـيـ حـتـىـ الـقـدـيسـ الـبـابـاـ يـوـحـنـاـ بـولـسـ الثـانـيـ عـلـىـ الـقـيـامـ بـهـ:ـ تـجـدـيدـ عـلـاقـتـنـاـ مـعـ الـخـلـيقـةـ،ـ حـتـىـ لـاـ نـعـتـرـهـاـ مـوـضـوـعـاـ لـلـاـسـتـغـلـالـ،ـ بلـ عـطـيـةـ مـقـدـسـةـ مـنـ الـخـالـقـ يـجـبـ أـنـ نـحـافـظـ عـلـيـهـاـ.ـ ثـمـ يـجـبـ أـنـ نـدـرـكـ أـنـ الـعـمـلـ مـعـاـ يـقـنـعـيـ مـارـسـةـ اـحـتـرـامـ الـبـيـةـ عـلـىـ أـرـبـعـ اـتـجـاهـاتـ:ـ نـحـوـ الـلـهـ،ـ وـنـحـوـ إـخـوـتـاـ الـبـشـرـ الـيـوـمـ وـغـدـاـ،ـ وـنـحـوـ الطـبـيـعـةـ كـلـهاـ،ـ وـنـحـوـ أـنـفـسـنـاـ.

فـيـ الـاتـجـاهـ الـأـوـلـ،ـ بـيـنـ الـبـابـاـ بـنـدـكـنـسـ السـادـسـ عـشـرـ أـنـ هـنـاكـ حـاجـةـ مـلـحـةـ لـنـفـهـمـ أـنـ الـخـلـقـ وـالـفـداءـ لـاـ يـنـفـصـلـانـ:ـ "ـالـفـادـيـ هوـ الـخـالـقـ،ـ وـاـنـ لـمـ نـبـشـرـ بـالـلـهـ بـكـامـلـ عـظـمـتـهـ"ـ -ـ فـيـ كـوـنـهـ،ـ خـالـقـاـ وـفـادـيـاـ -ـ فـإـنـاـ نـحـدـ مـنـ قـيـمـةـ الـفـداءـ أـيـضاـ [3]ـ.ـ يـدـلـلـ الـخـالـقـ عـلـىـ عـمـلـ الـلـهـ السـرـيـ وـالـعـجـيبـ فـيـ خـلـقـهـ،ـ مـنـ لـاـ شـيـءـ،ـ لـهـذـاـ الـكـوـكـبـ وـهـذـاـ الـكـوـنـ الـعـظـيمـ وـالـجـمـيلـ.ـ وـيـدـلـلـ أـيـضاـ عـلـىـ نـتـيـجـةـ هـذـاـ الـعـمـلـ،ـ الـمـسـتـمـرـ حـتـىـ الـآنـ،ـ وـهـوـ عـطـيـةـ لـاـ تـتـهـيـ نـخـتـبـرـهـاـ حـتـىـ الـآنـ.ـ فـيـ أـنـتـاءـ الـقـدـاسـ وـالـصـلاـةـ الـشـخـصـيـةـ فـيـ "ـكـانـدـرـائـيـةـ الـخـلـيقـةـ الـكـبـيرـ"ـ [4]ـ،ـ لـتـذـكـرـ الـفـنـانـ الـأـكـبـرـ الـذـيـ خـلـقـ كـلـ هـذـاـ الـجـمـالـ،ـ وـلـنـفـكـرـ فـيـ سـرـ اـخـتـيـارـهـ الـمـحـبـ لـأـنـ يـخـلـقـ الـكـوـنـ.

ثـانـيـاـ،ـ نـسـاـهـمـ فـيـ جـرـيـانـ هـذـاـ النـهـرـ الـكـبـيرـ بـتـغـيـرـ أـسـالـيـبـ حـيـاتـنـاـ.ـ انـطـلـاقـاـ مـنـ إـعـجاـبـنـاـ وـشـكـرـنـاـ لـلـخـالـقـ وـالـخـلـيقـةـ.ـ فـلـتـبـ عـنـ "ـخـطـاـيـاـنـ الـبـيـئـيـةـ"ـ،ـ كـمـ يـتـبـهـنـاـ أـخـيـ الـبـطـرـيرـكـ الـمـسـكـوـنـ بـرـثـلـماـوـسـ.ـ هـذـهـ الـخـطـاـيـاـ تـؤـذـيـ الـعـالـمـ الـطـبـيـعـيـ وـإـخـوـتـاـ وـأـخـوـاتـنـاـ أـيـضاـ.ـ بـمـسـاعـدـةـ نـعـمـةـ الـلـهـ،ـ يـمـكـنـاـ أـنـ تـبـنـيـ أـنـمـاطـ حـيـاةـ،ـ فـيـهـاـ هـدـرـ أـقـلـ،ـ وـاـسـتـهـلـكـ أـقـلـ وـعـدـيمـ الـفـائـدـ،ـ وـخـاصـةـ حـيـثـ تـكـوـنـ عـمـلـيـاتـ الـإـنـتـاجـ مـلـيـةـ بـالـسـمـومـ وـمـضـرـةـ بـالـحـيـاةـ.ـ لـنـحاـوـلـ أـنـ نـكـوـنـ مـتـبـهـنـينـ قـدـرـ الـمـسـطـطـاعـ لـعـادـاتـنـاـ وـخـيـارـاتـنـاـ الـاـقـتـصـادـيـةـ،ـ حـتـىـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـكـوـنـ الـجـمـيعـ فـيـ حـالـةـ أـفـضـلـ:ـ إـخـوـتـاـ الـبـشـرـ،ـ أـيـنـمـاـ كـانـوـاـ،ـ وـأـبـنـاءـ أـبـنـائـنـاـ أـيـضاـ.ـ لـتـعـاـونـ حـتـىـ تـبـقـيـ خـلـيقـةـ الـلـهـ،ـ بـفـضـلـ خـيـارـاتـنـاـ الـإـيجـابـيـةـ:ـ اـسـتـخـدـمـ الـمـوـارـدـ باـعـتـدـالـ أـكـبـرـ قـدـرـ الـإـمـكـانـ،ـ وـالـعـيـشـ بـقـنـاعـةـ وـفـرـحـ،ـ إـعادـةـ تـدوـيـرـ الـنـفـاـيـاتـ،ـ وـاـسـتـخـدـمـ الـمـنـتجـاتـ وـالـخـدـمـاتـ الـمـتـاحـةـ الـمـسـؤـولـةـ بـيـئـاـ وـاجـتمـاعـيـاـ،ـ وـقـدـ أـخـذـتـ تـرـدادـ.

أـخـيـراـ،ـ لـكـيـ يـسـتـمـرـ الـنـهـرـ الـكـبـيرـ فـيـ جـرـيـانـهـ،ـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـغـيـرـ الـسـيـاسـاتـ الـعـامـةـ الـتـيـ تـحـكـمـ مجـتمـعـاتـنـاـ وـتصـوـغـ حـيـاةـ شـيـابـ الـيـوـمـ وـالـغـدـ.ـ الـسـيـاسـاتـ الـاـقـتـصـادـيـةـ الـتـيـ توـقـرـ لـلـقـلـيلـنـ غـيـرـ فـاحـشاـ،ـ وـتـسـبـبـ لـلـكـثـيرـنـ تـدـهـورـ الـأـحـوـالـ،ـ هـيـ الـتـيـ تـقـرـرـ نـهـاـيـةـ الـسـلـامـ وـالـعـدـلـ.ـ مـنـ الـواـضـحـ أـنـ الـدـوـلـ الـغـنـيـةـ تـرـاـكـمـتـ عـلـيـهـاـ "ـالـدـيـوـنـ الـإـيكـوـلـوـجـيـةـ"ـ (ـكـُـنـ مـسـبـحـاـ،ـ 51ـ).ـ إـنـ قـادـةـ الـعـالـمـ الـذـيـنـ سـيـلـتـقـونـ فـيـ قـمـةـ COP28ـ،ـ الـتـيـ سـتـعـقدـ فـيـ دـبـيـ مـنـ 30ـ تـشـرـيـنـ الثـانـيـ/ـ نـوـفـمـبرـ إـلـىـ 12ـ كانـونـ الـأـوـلـ/ـ دـيـسـمـبرـ مـنـ هـذـهـ السـنـةـ،ـ عـلـيـهـمـ أـنـ يـسـتـمـعـوـاـ إـلـىـ الـعـلـمـ وـيـبـدـأـوـاـ،ـ بـنـقلـةـ سـرـيـعـةـ وـعـادـلـةـ،ـ بـتـحـقـيقـ التـحـوـلـ الـمـطلـوبـ،ـ لـيـوـفـقـواـ عـصـرـ الـوـقـودـ الـحـجـريـ.ـ بـمـوجـبـ تـعـهـدـاتـ اـتـفـاقـيـةـ بـارـيسـ لـلـحـدـ مـنـ مـخـاطـرـ الـاحـبـاسـ الـحـرـارـيـ،ـ مـنـ غـيرـ الـمـنـطـقـيـ السـمـاحـ باـسـتـمـارـ الـاـسـتـكـشـافـ وـالـتـوـسـعـ فـيـ الـبـنـيـةـ الـتـحـتـيـةـ لـلـوـقـودـ الـحـجـريـ.ـ لـتـرـفـعـ أـصـواتـنـاـ لـكـيـ نـوـقـفـ هـذـاـ الـظـلـمـ لـلـفـقـراءـ وـلـأـبـنـائـنـاـ،ـ الـذـيـنـ سـيـواجهـونـ أـسـوـأـ آـثـارـ الـتـغـيـرـ الـمـنـاخـيـ.ـ أـناـشـدـ كـلـ الـأـشـخـاصـ ذـوـيـ النـوـاـيـاـ الـحـسـنـةـ حـتـىـ يـتـصـرـفـواـ وـفـقـ هـذـهـ

رؤى أخرى موازية خاصة بالالتزام الكاثوليكي بالسينودية. هذه السنة، يتزامن اختتام زمن الخليقة، في 4 تشرين الأول/أكتوبر، وهو عيد القديس فرنسيس، مع افتتاح السينودس حول السينودية. مثل الأنهر التي تغذّيها آلاف الجداول الصغيرة والسيول الكثيرة، فإن العملية السينودية التي بدأت في تشرين الأول/أكتوبر 2021 تدعو جميع المكونات، على المستوى الشخصي والجماعات، إلى الالتفاء في نهر كبير من التأمل والتجدد. سيتم استقبال شعب الله كله في مسيرة حوار وتوبة سينودية مؤثرة.

وبالطريقة نفسها، مثل حوض النهر بروافده الكبيرة والصغيرة، الكنيسة هي شركة عدد كبير من الكنائس المحلية، والجماعات الرهبانية، والجمعيات المختلفة، التي تشرب من المياه نفسها. كلّ ينبع يضيّف مساهمته الفريدة والتي لا يمكن الاستغناء عنها، وكلّها تجري معًا إلى المحيط الفسيح الذي هو محبة الله الرحيم. وكما أن النهر هو مصدر الحياة للبيئة المحيطة به، هكذا يجب أن تكون كنيستنا السينودية مصدر حياة للبيت المشترك ولكلّ الذين يعيشون فيه. وكما يعطي النهر الحياة لكلّ أنواع الحيوانات والنباتات، هكذا يجب على الكنيسة السينودية أن تُعطي الحياة وتزرع العدل والسلام في كلّ مكان تصل إليه.

في شهر تموز/يوليو 2022 في كندا، ذكرت بحيرة طبريا حيث شفى يسوع وعزى أناساً كثيرين، وحيث أعلن "ثورة المحبة". وعلّمت أنّ بحيرة القدس حتّه هي أيضًا مكان للشفاء والتّعزية والمحبة، ومكان "يذكّرنا أنّ الأخوة الصّحّحة هي التي توحّد البعيدين، وأنّ رسالة الوحدة التي ترسلها السماء إلى الأرض لا تخشى الاختلافات، وتدعونا إلى الشركة والوحدة، مع الاختلافات، لنبدأ معًا من جديد، لأنّنا جمیعاً حجاج على الطريق".^[6]

في زمن الخليقة هذا، نحن أتباع للمسيح في مسيرتنا السينودية المشتركة، لنعش ولنعمل ولنصلّ، لكي يفيض بيتنا المشترك بالحياة من جديد. ليُرفّ الروح القدس على وجه المياه وليرشدنا "لتجديد وجه الأرض" (راجع مزامير 104، 30).

روما، بازيليكا القديس يوحنا في الاتران، يوم 13 أيار/مايو 2023.

فرنسيس

© جميع الحقوق محفوظة - حاضرة الفاتيكان 2023

[1] عظة عند "بحيرة القدس حتّه"، كندا، 26 تموز/يوليو 2022.

[2] عظة في مناسبة البداية الرسمية للخدمة البطرسية، 24 نيسان/أبريل 2005.

[3] لقاء البابا بندكتوس السادس عشر مع إكليروس أبرشية بريسانوف، 6 آب/أغسطس 2008.

[4] رسالة البابا فرنسيس في مناسبة الاحتفال بيوم العالم للصلة من أجل العناية بال الخليقة، 21 تموز/يوليو 2022.

[5] "هناك في الواقع "دين إيكولوجي" حقيقي، بالأخص بين الشمال والجنوب، يرتبط باختلالات تجارية مقرنة

⁴ بتداعيات إيكولوجية، وكذلك باستهلاكٍ غير متناسبٍ للموارد الطبيعية مُمارسٍ تاريخيًّا من قبل بعض الدول" (رسالة عامةٌ بابوية، كُنْ مُسْبِحًا، 51)

[6] عظة عند "بحيرة القدس حنة"، كندا، 26 تموز/يوليو 2022.